

الفصل الرابع

الطريق إلى وعد بلفور

الصهيونية العلمية

أثارت الثورة العلمية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر خلافاً بين الإيمان والعلم، فقد نشر داروين كتابه «أصل الأنواع» عام ١٨٥٩م، ونشر كتاب «سلالة الإنسان» عام ١٨٧١م. وفى عام ١٨٦٣م، نشر توماس هكسلى كتابه «مكان الإنسان فى الطبيعة»، وكان من نتاج ذلك أن طورت الصهيونية نظرياتها الخاصة بالتطور. وفى عام ١٨٦٥م، أنشأ الصهيونيون الإنجليز «صندوق استكشاف فلسطين» ليرهنوا على مبادئهم الدينية من خلال العلم الحديث.

تم إرسال «تشارلز وارن - Charles Warren»، و«كلود رينير - Claude Reignier» إلى فلسطين لتقصى إمكاناتها الاقتصادية المستقبلية، وتنبأ أولهما فى كتابه «أرض الموعد» عام ١٨٧٥م بقدررة فلسطين الإنتاجية فى المستقبل ولكن فى ظل الاستعمار اليهودى. وكان زميله «كوندر - Conder» مقتنعاً كذلك بأن «الطاقة والصناعة والمهارة التى تميز اليهود صفات قيمة جداً فى بلد انغمس سكانه فى الكسل المميت»^(١).

وفى الوقت نفسه، قام كثير من المكتشفين وماسحى الأراضى وعلماء الآثار والمغامرين برحلات إلى فلسطين، وعادوا منها بتقارير عن نتائج أبحاثهم «العلمية» التى لم تكن فى معظم الحالات أكثر من استنتاجات معروفة. لقد أبصروا هناك ما كانوا يريدون روايته، وهو الإهمال والدمار اللذين أصابا بلاداً كانت مزدهرة ذات يوم، وكان اللوم على ما أصاب فلسطين من بؤس ينصبُّ بطبيعة الحال على «القبائل العربية البدائية» التى لم تكن ميزاتها تعدو «الكسل والغباء المطبق»، والتى كانت عاجزة تماماً عن تصريف شئونها، بل شئون أرض كفلسطين ذات مستقبل مزدهر يبشر بالخير.

وفى مقابل ذلك، نرى اليهود أصحاب الأرض «الشرعيين لكن الغائبين» الذين اعتبرت عودتهم إليها الحل الوحيد لما تواجهه فلسطين من مشكلات. وتمشياً مع هذا الاعتقاد الصهيونى المتأصل الجذور، كتب الجيولوجى الشهير «جون ويليام دوسن - J.W.Dawson» عام ١٨٨٨م فى أعقاب رحلة ميدانية إلى فلسطين:

لم تستطع أمة أن تقيم كياناً لها فى فلسطين كأمة حتى الآن، ولم يكن هناك وحدة قومية أو روح وطنية. أما القبائل الفقيرة المؤلفة من عناصر شتى . . . فقد أقامت فيها مجرد مستأجرين وأصحاب أرض مؤقتين فى انتظار أولئك المؤهلين لتملك الأرض بشكل دائم^(٢).

وهكذا يتبين أنه حين كان يتعلق الأمر بفلسطين واليهود، فإنه حتى العلماء اللأدريون، يكونون مشاعر بيوريتانية فى وجهة نظرهم الصهيونية.

إن أية دراسة علمية صادقة عن واقع الحال فى فلسطين كانت ستكشف مجموعة مغايرة من الحقائق، أولها: إن حال اليهود القتائل الذين كانوا يعيشون فى فلسطين آنذاك لم تكن أفضل من حال غالبية العرب هناك، كما لم تكن تبشر بالخير أكثر من غيرها، ولم يكن هناك ما يشير إلى أن ما يسمى بالروح القومية اليهودية كانت فى طور الإعداد، بل إن الدراسات التاريخية اليهودية، وحتى الصهيونية تظهر عكس ذلك^(٣). ولذا كان لا بد أن تأتى المبادرات الاستعمارية الأولى من الصهيونيين غير اليهود وكان ينبغى إيجاد حقائق لم تكن موجودة فعلاً، وهذا بدوره إيدان بأفكار الصهيونية اليهودية فى القرن العشرين.

كان مصير كل من الصهيونية والاستعمار متشابكاً منذ البداية، فقد كانت المحاولات الأولى لتوطين اليهود كمستعمرين زراعيين مرتبطة بمكانة فلسطين فى المجالات السياسية والإستراتيجية.

قدم أنصار العودة من المسيحيين واليهود مشروعين، يتحدث أولهما عن فائدة إيجاد سكان نشيطين ودودين كاليهود فى منطقة حيوية «محايدة»، وهى فلسطين الواقعة على الطريق البرى للهند، والتى

يمكن أن تصبح محمية بريطانية إذا ما انتزعت من يد «رجل أوروبا المريض» في الباب العالي . وقدم بعض الضباط الإنجليز الفكرة الثانية التي تقضى بشق قناة من البحر المتوسط إلى خليج العقبة . وكان «تحييد» فلسطين غير منفصل عن تطوير الشرق الأوسط على يد «جمعية شرقية دولية» على غرار شركة الهند الشرقية وعودة اليهود إلى فلسطين كمستعمرين بموجب امتياز خاص^(٤) .

كان صندوق استكشاف فلسطين واحداً من المؤسسات والمنظمات الكثيرة التي ازدهرت في إنجلترا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، والتي كانت تقدم استشاراتهما ومساعداتها المادية والشخصية لليهود الراغبين في الاستيطان في مستعمرات زراعية في فلسطين، وكان أنصار القضية اليهودية من غير اليهود يؤثرون نشر مشروعاتهم في صحف يهودية ليضمّنوا وصولها إلى أكبر عدد ممكن من اليهود . وقد نشرت «جويش كرونكل - Jewish Chronicle»، وهبرو أوبزرفر - Hebrew Observet، وفويس أوف جاكوب - Voice of Jacob» سلسلة من المقالات التي كتبها الصهيونيون غير اليهود . وفي عام ١٨٧١م، اقترح «إسحق آش» في إحدى مقالاته التي اقتبسنا منها أعلاه «تشكيل شركة ذات حقوق وامتيازات على غرار شركة الهند الشرقية أو شركة خليج هدسون، وتوقع قيام صندوق النقد القومي اليهودي قبل ثلاثين عاماً من إنشائه . وفيما يلي بعض اقتراحاته :

هناك ثلاث أو أربع خطوات ضرورية لإعادة قومية يهودية في فلسطين : شراء الأرض من أصحابها الحاليين أولاً، وجعلها ذات قيمة للمستأجرين والفلاحين عن طريق إنفاق مبلغ من المال حتى إذا ما تحسنت أحوالها؛ تم تأجيرها لمستأجرين يهود بشكل دائم وبأجور ثابتة . وثالثة الخطوات هي : توجيه رأس المال لا لاستغلال الأرض فحسب، بل لإقامة مصانع ذات طبيعة وأهمية قومية، ورابعة الخطوات هي : توجيه هذه المصانع وغيرها لجعل البلد في وضع مناسب للدفاع العسكري بحيث تتمكن الأمة من المحافظة على استقلالها من كل الغرباء عندما يحين الوقت للدفاع عنها . . .^(٥) .

لورنس أوليفنت يضع الخطوط العريضة

كان أقوى ممثل للصهيونيين غير اليهود هو لورنس أوليفنت (١٨٢٩ - ١٨٨٨ م) عضو البرلمان، ووزير الخارجية والصحفي، وفوق ذلك كله المتدين المتطرف. وبصفته صاحب نظرية إعادة إحياء الإمبراطورية العثمانية لمواجهة منافستها الإمبراطورية الروسية، اقترح خطة مفصلة لتوطين اليهود. وبعد أن قام بزيارات شخصية لفلسطين لمسح أراضيها ودراسة ظروف الاستيطان والاستعمار الزراعي، نشر عام ١٨٨٠ م كتابه «أرض جلعاد» واقترح إقامة مستوطنة يهودية شرق نهر الأردن تكون تحت السيادة العثمانية والحماية البريطانية:

على إنجلترا أن تقرر ما إذا كانت ستقوم بمهمة استكشاف مدنها المهتمة، وتطوير مواردها الزراعية الهائلة عن طريق إعادة توطين الجنس الذي تملكها أولاً قبل ٣٠٠٠ عام، وتأمين المكاسب السياسية الكبيرة التي ستتج عن مثل هذه السياسة^(٦).

وكان اقتراحه إقامة مستعمرة على مساحة مليون ونصف فدان شرق نهر الأردن، أكثر الخطط المفصلة والموضوعة بعناية للاستيطان في هذه الفترة، وسيجلب لهذه المستعمرة المستوطنون اليهود من رومانيا وروسيا وأجزاء أخرى من الإمبراطورية.

وقدم أوليفنت كذلك توصيات بشأن السكان العرب في فلسطين، فالببدو الذين وصفهم بأنهم «مولعون بالحرب» يجب أن يطردوا، أما العرب الفلاحون فيستمالون ويوضعون في «أراض خاصة بهم» كالهنود الحمر في أمريكا الشمالية. ويمكن استغلال بعض الفلاحين العرب كيد عاملة رخيصة تحت إشراف يهودي. وكان للعرب في نظره «حق ضئيل في المطالبة بشيء من عطفنا؛ لأنهم خربوا البلاد ودمروا قراها ونهبوا سكانها إلى أن آلت إلى حالتها الراهنة»^(٧).

ويحظى لورنس أوليفنت بأهمية تفوق الآخرين؛ لأنه أول من أقام اتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود. وقد أدرك، كسلفه تشرشل، والذي سبقه بأربعة عقود من الزمان، أهمية إشراك اليهود أنفسهم في مشاريع الاستيطان والاستعمار، فدعاهم إلى التعاون في مقاله «اليهود والمسألة الشرقية» الذي نشر في عدد سبتمبر عام

١٨٨٣ م من «القرن التاسع عشر». وكان أول اتصال له مع يهود يشاركون تفكيره نفسه هو ذلك الذى تم مع حركة «حب صهيون» المؤلفة من الأوروبيين الشرقيين الذين كان همهم الأكبر هو الفرار من موجة المذابح الجديدة التى أعقبت اغتيال القيصر الإسكندر الثانى عام ١٨٨١ م، وأخذت الصهيونية اليهودية تحرز تقدماً بطيئاً منذ عام ١٨٨٠ م مع أن الدعم الذى حظيت به كان مقتصرأ على اليهود الروس والأوروبيين الشرقيين. (وعند هذه النقطة كان أهم تحول فى اللاهوت اليهودى هو اقتراح معالجة اضطهادهم علمانياً عن طريق إيجاد وطن يسمونه وطنهم. وإذا كان من الممكن اعتبار كتيب ليونسكر (التحرر الذاتى) الذى كتبه عام ١٨٨٢ م نموذجاً لذلك، فليس هناك ما يدعو لأن يكون هذا الوطن فلسطين. والواقع أن بنسكر كان يسخر كثيراً من الارتباط العاطفى بفلسطين، كما كان يسخر من الآمال بإيجاد حل على يد المسيح المنتظر^(٨)).

حضر أوليغنت عدة اجتماعات لحركة حب صهيون فى روسيا ورومانيا والتقى زعمائها، كما اجتمع بعدد من زعماء الدين ورجال الدولة غير اليهود، ومنهم أمير ويلز الذى أصبح فيما بعد الملك إدوارد السابع. كانت الاحتمالات المستقبلية مشرقة جداً، فقد كانت لدى رئيس وزراء بريطانيا اللورد بيكونسفيلد (دزرائيلى)^(٩) ووزير خارجيته اللورد سالزبرى الطموحات نفسها، فمنحا أوليغنت إذناً بالتفاوض مع الحكومة العثمانية حول أرض يمكن لليهود استيطانها، بل إنه حصل كذلك على موافقة وزير الخارجية الفرنسى.

تحول سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية

عجلت التطورات السياسية المحلية فى وضع حد لجهود دزرائيلى الدبلوماسية، فقد فاز حزب الأحرار فى الانتخابات العامة عام ١٨٨٠ م وحل جلاستون الليبرالى محل اللورد بيكونسفيلد، وكان ذلك يعنى تغييراً فى سياسة بريطانيا الشرقية، فلم تعد بريطانيا صديقة السلطان وحاميه «كان جلاستون يشعر بالاشمئزاز من الأتراك، وكان يكره الاستعمار، ويبدو أنه كان يعتقد أن بإمكانه جعل المسئوليات الملقاة على كاهل بريطانيا نتيجة التوسع الاستعمارى تتلاشى نتيجة تجاهلها»^(١٠).

وأخيراً، حانت الفرصة المناسبة للصهيونية غير اليهودية فى بريطانيا. كان الصهيونيون يحسون طوال الوقت أنهم مرغمون على القيام بمناقشاتهم باسم سياسة

قدر لها الفشل ، ولكنهم كانوا يحاولون تكييف خططهم ومشروعاتهم لجعلها منسجمة مع سياسة بريطانيا الشرقية الشاملة ما دامت الحكومة البريطانية ملتزمة بسياساتها الموالية للعثمانيين . وكانت كل هزيمة عسكرية يمى بها العثمانيون ، حتى ولو كانت على يد القيصر الروسى اللاسامى ، تحيى آمال الصهيونيين غير اليهود ، ولكنها كانت سرعان ما تتجمد بسبب مؤتمرات السلام اللاحقة التى كانت فى العادة تبقى على الوضع الراهن فى ولايات السلطان الآسيوية . فى عام ١٨٧٨م ، على سبيل المثال ، وبعد أن هزمت روسيا تركيا لم تحل معاهدة سان ستيفانو الأزمة ، فقد عقد فى يونيو عام ١٨٧٨م مؤتمر أوروبى لتسوية أزمة شرقية أخرى . وطبقاً لسياسة بريطانيا التقليدية لم تمس ممتلكات تركيا فى آسيا ولم يتغير النظام القائم فى فلسطين .

لكن هذه النكسات لم تثن الصهيونيين الذين تبنا أسلوب الخطوة خطوة لإقامة دولة يهودية فى فلسطين بطرق غير مباشرة ، كالأستعمار اليهودى تحت السيادة التركية والحماية البريطانية ، أو تقوية النفوذ البريطانى فى الشرق الأدنى مما سيجعل فلسطين تدور فى فلك مصالح بريطانيا الاستعمارية . ووجد أوليقت وزملاؤه فى تزايد النفوذ البريطانى - مساهمة دزرائيلى فى جعل فلسطين يهودية - عوضاً عما أصابهم من خيبة أمل فى مؤتمر برلين .

وعندما عاد المحافظون برئاسة اللورد سالزبرى للسلطة عام ١٨٨٥م واستدعت الحقائق السياسية الجغرافية المتغيرة مراجعة أساسية لسياسة بريطانيا الشرقية ، لم يعد اللورد سالزبرى يرى أن استعادة بريطانيا لنفوذها فى القسطنطينية أمر ضرورى ، فقد كانت الإمبراطورية العثمانية فى نظره قضية خاسرة . وقد قال بأسى ذات مرة وهو يتحدث عن السياسة البريطانية خلال حرب القرم «لقد راهنا على الحصان الخاسر» ، واعترف بأنه ربما كان من الأفضل لإنجلترا لو أنها وافقت على اقتراح القيصر القاضى بتقسيم الإمبراطورية العثمانية قبل انهيارها المحتوم .

وخلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، اتبع الصهيونيين غير اليهود فى إنجلترا أسلوباً مباشراً ، فقد كان الوضع السياسى الجغرافى المتميز الناتج جزئياً عن وصول بريطانيا إلى المنطقة الواقعة جنوب وغرب فلسطين (مصر وقبرص) ، وعودة السلطان للقيصر يتطلبان مراجعة لسياسة بريطانيا الشرقية . ولما كان اهتمام بريطانيا منصباً على

مصر ، فقد كان لدى الحكومة سبب كاف للتخلي عن سياستها التقليدية وهي الإبقاء على وحدة أراضي الإمبراطورية العثمانية من أجل جزء منها .

أصبحت أهمية فلسطين في الخطة البريطانية الاستعمارية تنبع من قربها من مصر ، وقد دعا اللورد كتشتر ، أحد المؤيدين الرئيسيين للسياسة الشرقية الجديدة ، حكومته «لتأمين فلسطين كحصن لبريطانيا في مصر وكحلقة وصل برية مع الشرق»^(١١) .

ولم تعد الصهيونية أخيراً ، متوافقة مع الاستعمار البريطاني فحسب ، بل أصبحت فرعاً منه . وأصبح أشد أنصار الصهيونية هم أولئك الذين يشغلون مناصب مهمة في الدوائر الحكومية في إنجلترا . وولت الأيام التي كانت الصهيونية فيها مغلقة بأسلوب اللورد شافتسبري ذى الأفكار الدينية . وخلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، أصبحت الحاجة الملحة للإمبراطورية تتطلب قيام صهيونية سياسية ، وأصبح تحقيق البرنامج الصهيوني بشكل فعلى أكثر احتمالاً من أى وقت مضى . قويت شوكة الصهيونية غير اليهودية نتيجة تنامي الصهيونية بين يهود أوروبا . وأخيراً ترأس بعض اليهود الدعوة الصهيونية وعبروا عن اهتمامهم بالعمل السياسى من أجل إعادة توطين اليهود في فلسطين .

« ويليام هشر - william hechler ، صهيونى حديث

كان القسيس الإنجليكانى الملحق فى السفارة البريطانية فى فيينا ويليام هـ . هشر (١٨٤٥ - ١٩٣١ م) حلقة وصل أخرى بين الصهيونية غير اليهودية والحركة الصهيونية الحديثة الولادة . ولد هشر فى جنوب إفريقيا لأبوين ألمانيين پروتستانتين . ونشأ على التعاليم الإنجليكانية عن الصهيونية الدينية . وقد عبر عن حبه العظيم «لشعب الله القديم» مثل شافتسبري عن طريق تشجيعه المتزايد للاستيطان اليهودى فى فلسطين . وكتجسيد لدخول الإنجليكانية البريطانية ميدان السياسة ، كان هشر بخلفيته وتدريبه مناسباً للقيام بدور الوسيط بين الصهيونية اليهودية وغير اليهودية ، حيث كان يجمع بين الصهيونية الدينية والإنسانية والسياسية . ولما كان مشرباً بالفكرة الإنجليزية عن العصر الألفى السعيد ، فقد حاول أن يحدد تاريخ إعادة إقامة دولة يهودية بشكل دقيق . وكان كذلك متأثراً بتدفق اللاجئين اليهود الفارين من أوروبا الشرقية للغرب .

وفى مايو عام ١٨٨٢م، عقد مؤتمراً لمسيحيين بارزين للتفكير فى إيجاد حل «للمشكلة اليهودية» التى كانت تواجه إنجلترا نتيجة الهجرة اليهودية المتزايدة . وخلال العام نفسه ، زار فلسطين ليتحرى بنفسه ظروف الاستيطان اليهودى الدائم هناك . وقد تحدث فى كتابه «إعادة اليهود إلى فلسطين» عام ١٨٩٤م ، الذى ظهر قبل كتيب هرتزل «الدولة اليهودية» بعامين ، عن ضرورة «إعادة اليهود إلى فلسطين طبقاً لنبوءات العهد القديم» .

وتعلم هشرل ، فى سعيه للاستيطان اليهودى ، كيف يضيف الحجج السياسية والعملية للحجج الدينية والإنسانية . وفى مطلع عام ١٨٩٦م ، حين أصبح ملحقاً للسفارة البريطانية فى ثيينا ، قدم له صديق كتاب الدولة اليهودية ، وما إن فرغ من قراءة هذه «التحفة الأدبية الصهيونية» حتى طلب عقد اجتماع مع مؤلفها . وتم اللقاء الحاسم فى العاشر من مارس عام ١٨٩٦م وشعر كل من الرجلين بحب زميله ، وسجل هرتزل هذا اللقاء فى مذكراته :

حضر ويليام هشرل المبجل ، ملحق السفارة الإنجليزية هنا ، لزيارتي وهو زميل عاطفى رقيق ذو لحية بنية طويلة بيضاء . إنه متحمس لحلى للمشكلة اليهودية ، كما أنه يعتبر حركتى «نقطة تحول نبوية» تنبأ بها قبل عامين . وطبقاً لنبوءة فى عهد عمر (٦٣٧م) حسب بأن يعود اليهود إلى فلسطين فى نهاية ٤٢ شهراً نبوياً عام (١٢٦٠م) وكان الرقم الذى توصل له هو عام ١٨٩٧-١٨٩٨م . . (١٢) .

فتح هذا اللقاء الذى كان حاسماً ل (هرتزل) أبواب السفارات الأوروبية أمام الحركة الصهيونية الحديثة . ولم يكن هشرل دبلوماسياً مفطوراً فحسب ، ولكن كانت له اتصالات شخصية ممتازة مع شخصيات مرموقة فى إنجلترا وألمانيا . وعقب اللقاء الأول بفترة قصيرة ، رتب هشرل لقاءً بين صديقه الصهيونى الجديد ودوق بادن العظيم عم القيصر ولهمم الثانى . وكان كل من هرتزل وهشرل يؤمل أن يتمكن عم القيصر من إقناع القيصر الألمانى بتبنى دور قورش فى إطار حماية ألمانية للصهيونية فى فلسطين . (١٣)

وكان الحديث الذى دار بين هرتزل ودوق بادن فى «كارلسروه - Karlsruhe» أول نجاح

ديبلوماسى يحققه؛ إذ أثمر عن لقائين مع القيصر نفسه فى القسطنطينية والقدس فى أكتوبر ونوفمبر من عام ١٨٩٨م، وكان يأمل فى أن يستغل نفوذ ألمانيا المتزايد مع السلطان، ولكن ذلك الحلم لم يتحقق .

برنامج بازل لعام ١٨٩٧م

كان تعاون هشرل ولورنس أوليفنت الفعال مع الحركة الصهيونية اليهودية أول حلقات فى سلسلة طويلة من الاتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود فى مطلع القرن العشرين . ومع ميلاد المنظمة الصهيونية فى أغسطس ١٨٩٧م فى المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل، وضع اليهود أنفسهم للمرة الأولى مسودة البرنامج السياسى الذى كان أساساً للحركة الصهيونية فى القرن العشرين :

تكافح الصهيونية من أجل إنشاء وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يحميه القانون . ويرى المؤتمر أن الوسائل التالية تؤدى إلى الغاية المنشودة: (١) تشجيع استعمار العمال اليهود الصناعيين والزراعيين لفلسطين على أسس مناسبة . (٢) تنظيم وربط جميع اليهود عن طريق المؤسسات المحلية أو الدولية، طبقاً لقانون كل دولة . (٣) تعزيز وتشجيع الإحساس والشعور القومى اليهودى . (٤) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة حكومية حين يكون ذلك ضرورياً للوصول إلى أهداف الصهيونية^(١٤) .

لم تكن الملامح الأساسية لهذا البرنامج الصهيونى جديدة، فمفاهيم الصهيونية غير اليهودية عبر أربعة قرون عززت الروابط التاريخية بين القومية اليهودية المستقلة وأرض فلسطين، وكانت ترى أن ذلك الارتباط هو أساس إعادة تشكيل الوطن القومى اليهودى فى هذه البلاد . وكانت الصهيونية اليهودية وغير اليهودية، ولا تزالان، تسعيان إلى تحويل فلسطين العربية إلى وطن أو دولة قومية يهودية . لكن الحقيقة الأساسية فى ادعائهم أنه كان ينظر إلى اليهود على أنهم شعب لا أرض له ينبغى أن يعاد لإرثه الشرعى فى الوقت المناسب .

جوزيف تشامبرلين يستعمر الصهيونية

كان جوزيف تشامبرلين (١٨٣٦ - ١٩١٤ م)، يجسد النمط الجديد للصهيونيين غير اليهود الذين ازداد عددهم مع مطلع القرن العشرين. وكان اهتمامه الأكبر منصباً على الإمبراطورية البريطانية التي كانت «مهمتها القومية» أن تصبح «مهيمنة كقوة في تاريخ الحضارة العالمية»^(١٥). لم تكن النبوءة التوراتية تهمة، كما أنه لم يكن يتأثر باعتبارات إنسانية ولم يكن لديه التزام أدبي نحو «شعب الله القديم».

ومع ذلك فقد كان يرى، مثل بالمستون وغيره ممن سبقوه، إن الادعاءات الصهيونية تتيح فرصاً حقيقية لتوسيع الإمبراطورية البريطانية. «كان يرى اليهود مجموعة من المستعمرين الأوروبيين الجاهزين لاستيطان وتطوير وامتلاك أرض خالية تحت الوصاية البريطانية»^(١٦) وكان تشامبرلين في مساعيه لتوسيع حدود الإمبراطورية يبحث باستمرار عن مستعمرين ومستوطنين يجلبون الحضارة «للأجناس الأقل شأنًا التي ليس لها قانون». ولم تكن صهيونيته فلسفية بل عملية جداً، ففي عام ١٩٠٣ م، قدم لـ (هرتزل) العرش في سيناء ليستوطنها اليهود غير أبه بواحدة من البديهيّات الصهيونية، وهى أن فلسطين هى الأرض الوحيدة التي يمكن أن تكون وطنًا يهوديًا^(١٧).

إن هناك خلافاً بين العلماء حول السبب الذي جعل تشامبرلين يقبل الصهيونية، فكاتبة سيرة حياته چوليان أميري ترى أنه كان مدفوعاً لذلك في البداية بعوامل إنسانية، ولكنه أدرك فيما بعد أن إقامة مستعمرة يهودية في سيناء قد تكون أداة نافعة لتوسيع النفوذ البريطاني في فلسطين حين يحين الوقت لتقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية المحتوم^(١٨). أما كريستوفر سايكس فيقدم صورة أخرى لصهيونية تشامبرلين:

علينا ألا نفترض بأننا نرى في حماس تشامبرلين للصهيونية - الذي كان عاطفياً - مظهرًا آخر من مظاهر التعاليم الألفية، فهو ليس خليفة للورد شافتسبري ولا أخاً روحياً لهشلمر وسبثروب. لقد كان اهتمامه بمصائر اليهود ناتجاً عن دوافع مادية^(١٩).

إن اهتمام تشامبرلين بالإنسانى باليهود، مهما كان صحيحاً، كان أقل أهمية من فكرته عن اليهود كمشكلة. وعندما كان وزيراً للمستعمرات خلال فترة رئاسته

سالزبرى الثالثة فيما بين عامى ١٨٩٥ و ١٩٠٣م، كانت مشكلة إنجلترا الرئيسة هى الهجرة غير المرغوب فيها، وبخاصة من أوروبا الشرقية. ففي ثمانينات القرن التاسع عشر بدأ تيار المهاجرين اليهود يتدفق من روسيا ورومانيا وكان معظمهم يتجه إلى إنجلترا والولايات المتحدة. وكان تشامبرلين كغيره من الصهيونيين الإنجليز غير اليهود^(٢٠) يجذب سياسة الحد من تدفق هؤلاء اللاجئين. وكان أشد ما يخشاه هو منافسة الأيدى العاملة الرخيصة والكوارث التى تصيب الطبقة العاملة الإنجليزية نتيجة الهجرة غير المقيدة^(٢١) ومرة أخرى، نرى موقفاً صهيونياً يشكل جزءاً لا يتجزأ من سياسة الهجرة اللاسامية والحقوق المدنية.

هرتزل يلقى أذاناً صاغية

كان هرتزل أشد ما يكون شوقاً لمقابلة وزير المستعمرات البريطانى «ليكسب تأييد تشامبرلين للاستيطان اليهودى على نطاق معقول داخل الأراضى الخاضعة للسيطرة البريطانية»^(٢٢)، ووجد أن إنجلترا هى «نقطة الارتكاز التى يجب تطبيق مبدأ الرافعة عندها»^(٢٣). وخلال المؤتمر الصهيونى الرابع، الذى عقد فى لندن عام ١٩٠٠م، أعلن بكل ثقة فى كلمة الافتتاح «من هذا المكان ستحلق الحركة الصهيونية عالياً... إنجلترا العظيمة، إنجلترا الحرة، إنجلترا التى تمد عيونها إلى البحار السبعة ستفهمنا»^(٢٤).

وفى عام ١٩٠٢م، ظهر هرتزل لأول مرة فى دوائر الحكومة البريطانية الرسمية عندما دُعِيَ إلى لندن للمثول كواحد من ١٧٥ شاهداً أمام «اللجنة الملكية لهجرة الغرباء» التى شكلت لتحرى وتقرير طبيعة ومدى المصائب التى تنسب لهجرة الغرباء غير المقيدة، وبخاصة فى العاصمة، والإجراءات المتخذة لتقييد ومراقبة الهجرة للدول الأجنبية، والمستعمرات البريطانية^(٢٥)، وكان هرتزل هو الشاهد الوحيد الذى قدم للجنة حلاً عملياً للمشكلة على أسس صهيونية:

لا شىء يحل المشكلة التى دعيت اللجنة لبحثها وتقديم الرأى بشأنها سوى تحويل تيار الهجرة الذى سيستمر بقوة متزايدة من أوروبا الشرقية. إن يهود أوروبا الشرقية لا يستطيعون أن يبقوا حيث هم - أين سيذهبون؟ إذا كتمت ترون أن بقاءهم هنا غير مرغوب فيه، فلا بد

من إيجاد مكان آخر يهاجرون إليه دون أن تشير هجرتهم له المشاكل
التي تواجههم هنا. لن تبرز هذه المشاكل إذا وجد وطن لهم يتم
الاعتراف به قانونياً، ووطنًا يهوديًا^(٢٦).

ترك هرتزل أثرًا قويًا في نفوس أعضاء اللجنة، وبخاصة ممثلها اليهودى اللورد
روتشيلد الذى كان يكن له العداء منذ أمد بعيد. لكن هرتزل استطاع أن يستميله إليه
بشهادته، ورأى كيف يمكنه أن يستفيد من هرتزل والصهيونية السياسية، فتحقيق
برنامج بازل سيحل مشكلة لاجئى أوروبا الشرقية دون أن تكون هناك حاجة
لاستيعابهم فى إنجلترا.

هكذا بنى السياسيون البريطانيون (وبخاصة تشامبرلين وآرثر بلفور رئيس الوزراء
المعين حديثًا) حجة هرتزل فى محاولة منهم للحد من الهجرة اليهودية إلى إنجلترا.
وبعد بضعة أشهر من مثول هرتزل أمام لجنة الغرباء استقبله تشامبرلين، وكانت هذه
أول مرة - منذ مفاوضات مناسخ بن إسرائيل مع كرومويل حول إعادة اليهود إلى
فلسطين - يلتقى فيها رجل دولة بريطانى وزعيم يهودى. وفى هذا الاجتماع تلاقى
الصهيونية السياسية اليهودية والصهيونية غير اليهودية، وكشف النقاب عن اتجاه
الإستراتيجية الصهيونية وفلسفة الاستعمار البريطانى.

قائمة تشامبرلين المتعلقة بالأراضى

أتاحت الصهيونية لتشامبرلين، رسول الإصلاح الاجتماعى المحلى الذى انقلب إلى
نصير للخطط الاستعمارية «فرصًا قانونية» لتوسيع الإمبراطورية البريطانية. ولم يكن
عداؤه الشخصى للسامية، وهو الأمر الذى كان معروفًا فى الأوساط الإنجليزية
اليهودية^(٢٧)، يشكل عقبة ما دام ذلك متسقًا مع تصوره الصهيونى عن «جنس يهودى
مستقل». والأهم من ذلك أن كونهم أدنى عرقًا من الجنس الأنجلوسكسونى لم يحل
دون قيامهم بالاستيطان كمستعمرين أوروبيين جاهزين فى الإمبراطورية البريطانية التى
تزداد اتساعًا.

كان اقتراح تشامبرلين إعطاء اليهود العريش يبدو صهيونيًا إذا ما اعتبرت «مركز

تجمع» للشعب اليهودى بجوار فلسطين^(٢٨)، كما أن إقامة مستعمرة يهودية فى «سيناء» قد يثبت أنها أداة نافعة لسيط النفوذ البريطانى على فلسطين عندما يحين الوقت لتقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية^(٢٩). وكانت حسابات هرتزل تشير إلى أنه إذا ما أقام اليهود «اتحاداً فى العريش» فإن فلسطين ستصبح فى مجال النفوذ البريطانى.^(٣٠) لكن المشروع فشل على الرغم من حماس تشامبرلين له، فقد عادت لجنة من الخبراء الصهيونيين - كانت قد ذهبت للعريش لدراسة ظروف الاستيطان هناك - بتقرير يقول إن الأرض ستحتاج إلى رى كثيف عن طريق تحويل نهر النيل. ومما قلل من الاهتمام اليهودى بالمشروع امتناع وزير الخارجية عن القيام بأية مغامرة وإثارة مشاكل مع مصر بسبب العريش. وكان هذان العائقان كافيين لوضع الفكرة كلها على الرف.

لم يجد تشامبرلين صعوبة فى العثور على بقعة أخرى على خارطة الإمبراطورية البريطانية تكون بحاجة إلى استعمار أوروبى، وكانت هذه البقعة هى أوغندا. لكن بعدها عن الهدف النهائى، وهو فلسطين، جعلها غير ذات قيمة. ورفض المؤتمر الصهيونى السادس عام ١٩٠٣م عرض أوغندا (حتى ولو كانت ملجأ مؤقتاً لليهود فى وقت الخطر)^(٣١) فضلاً عن أن أوغندا لم تكن تتفق مع برنامج بازل السياسى، ولم تكن تتماشى مع روح الصهيونية اليهودية. وللتاريخ فإن أوغندا تمثل أول عرض إقليمى تقدمه حكومة لليهود بشكل رسمى ككيان قومى.

لاسامية الصهيونية الإنجليزية غير اليهودية

عندما قدمت الحكومة البريطانية أول عرض رسمى لها بإعطاء أرض لليهود فى عام ١٩٠٣م وهى أوغندا، كان رئيس الحكومة آنذاك هو اللورد آرثر جيمس بلفور الذى كان قد خلف عمه اللورد سالزبرى عام ١٩٠٢م كرئيس للوزراء. وعلى ذلك، فقد كان بلفور يشجع الصهيونية قبل إعطائه وعده عام ١٩١٧م. ولم يكن بلفور عام ١٩٠٣م قد أصبح صديقاً لحاييم وايزمان الزعيم الصهيونى الذى كان قد أنشأ جهازاً تنفيذياً فى إنجلترا لكسب تأييد الحكومة البريطانية لخطط الصهيونية فى فلسطين. وارتباط بلفور الصريح بالصهيونية - الذى تجلّى بوضوح عندما كان وزيراً للخارجية فى عهد لويد جورج - يلقى ظلالاً على علاقته المبكرة بالمرحلة الهرتزلية. ومع أنهبقى يعبر

عن تأييده للصهيونية طوال حياته ، إلا أن ميوله الصهيونية المبكرة تكشف بوضوح عن المزج بين اللاسامية بالنسبة للمسألة اليهودية والعنصرية بالنسبة للتاريخ بشكل عام .

كان بلفور ، كتشامبرلين ، يؤمن بالمزايا الفريدة للجنس الأنجلوسكسوني ، وكانت وطنيته العنصرية المكشوفة تدفعه إلى اللاسامية ، كما يتضح من المناقشات حول قانون الغرباء عام ١٩٠٥ م . لم يكن بلفور رئيس الحكومة التي قدمت القانون فحسب ، ولكنه « قام شخصياً بدور فعال في تبنيه في مجلس العموم »^(٣٢) . وحين كان المشروع أمام اللجنة ، رد بلفور على السير تشارلز ديلك بقوله :

لقد أدان المبجل بارونيت روح اللاسامية التي ألحقت الخزي الشديد بالسياسة الحديثة لدول أخرى في أوروبا ، وأعلن أن يهود هذه البلاد يعدون عنصراً مهماً في المجتمع ، ولم يكن على استعداد لإنكار أى من هذين الأمرين . لكنه كان يرى أنه ليس من مصلحة حضارة هذا الوطن أن يكون فيه كثير من الأشخاص الذين يبقون ، نتيجة تصرفاتهم ، شعباً مستقلاً ويعتقون ديناً يختلف عن دين الغالبية العظمى من مواطنيهم ولا يتزاوجون إلا من بنى جنسهم . ليس من مصلحة الوطن أن يكونوا فيه مهما بلغت درجة وطنيتهم وقدرتهم وجددهم وانغماسهم في الحياة القومية^(٣٣) .

لم يترك هذا التصريح أدنى شك في أن السبب لإلقاءه هو الحد من هجرة اليهود من أوروبا الشرقية وإنقاذ إنجلترا من « المآسى الأكيدة التي أصابت البلاد نتيجة هجرة هي في معظمها يهودية »^(٣٤) ، وكان رد فعل المؤتمر الصهيوني السابع هو اتهام بلفور « باللاسامية الصريحة ضد الشعب اليهودي كله »^(٣٥) .

وحتى في عام ١٩١٤ م ، اعترف بلفور لوايزمان بأنه قد يشارك كوزيما واجنز كثيراً من مشاعرها اللاسامية . وكان بلفور قد التقى بها في بيروت وبحث معها محنة اليهود في ألمانيا^(٣٦) .

وإعلان بلفور ، والذي يعتبر تجسيداً للصهيونية السياسية ، وشجبه العلني المتكرر لاضطهاد اليهود في أوروبا الشرقية ، حيث « كانت معاملة الجنس اليهودي عاراً على المسيحية »^(٣٧) ، لا يعفيانه من لا ساميته . وعلى النقيض من ذلك فإن مواقف بلفور

الغامضة المبهمة من المسألة اليهودية تدفعنا إلى القناعة بأن الصهيونية والعنصرية واللاسامية إنما هي جوانب لظاهرة واحدة: فطبيعة الصهيونية لم تكن ملائمة للاسامية فحسب، ولكنها كانت تشجعها. ولذا فإن معاداة بلفور للهجرة اليهودية لم تكن تعتبر «عداء للسامية بالمعنى العادى المعروف للكلمة» ولكنها كانت مجرد «ضرورة اجتماعية واقتصادية شاملة ملازمة لهذه الهجرة»^(٣٨). ولا بد أن بلفور كان يفكر على هذه الأسس عندما رفض عام ١٩١٧م التدخل لدى الحكومة الروسية من أجل إزالة القيود المتعلقة بإعطاء اليهود المواطنة. ويروى عنه أنه رد على طلب لوسين ولف بقوله:

حيثما توجه المرء فى أوروبا الشرقية فإنه يرى يهودياً ناجحاً فى مجال أو آخر، وعندما يضاف إلى ذلك أنه ينتمى إلى جنس متميز وأنه يعتقد ديانة هى محل كره متوارث من المحيطين به، فضلاً عن أنهم يعدون بالملايين... يدرك المرء سر الرغبة فى قمعه ومنعه من الحق الذى له.

لم يقل (بلفور) أن ذلك يبرر الاضطهاد. ولكن هذه الأمور جميعاً يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عندما تم تقديم اقتراح بأن تتدخل الحكومة الأجنبية من أجل تحرير اليهود الروس^(٣٩).

كانت صهيونية بلفور المتقدمة، والعاطفية أحياناً، نابعة من تصوره «للتمييز العنصرى» لليهود الذى يعتبر العرق والدين والوطن بالنسبة لهم أموراً متداخلة معاً. يضاف إلى ذلك أن الصهيونية كانت تتماشى مع فلسفته المحافظة:

كانت وجهة نظره من جدوى الاعتراف بالحق اليهودى التاريخى فى وضع خاص فى فلسطين بعيدة المدى، بحيث تمتد للماضى والمستقبل بشكل يفوق ما كان عليه حال زملائه. كان يرى الصهيونيين حماة لمجتمع ذى تقاليد دينية وعرقية تجعل اليهودى غير المندمج قوة محافظة هائلة فى السياسة العالمية، وكان يشعر أن العالم المسيحى كافاً اليهود لمساهمتهم فى الثقافة والديانة^(٤٠).

كان بلفور يشترك مع كثير من الصهيونيين غير اليهود فى حيرتهم فى كيفية التوفيق بين فكرتين متناقضتين ظاهرياً، فقد كانوا من ناحية يبدو إعجابهم بالجنس اليهودى،

حتى إن بلفور وصفهم ذات مرة بأنهم «أكثر شعوب البشرية نبوغاً منذ إغريقيّ القرن الخامس الميلادي»^(٤١)، ولكنهم من ناحية أخرى لم يكونوا قادرين على التسليم بـ «انفصاليّتهم» عن محيطهم غير اليهودي. وكان الصهيونيون غير اليهود يظهرهم «نوعاً من الحب للسامية الذي يؤكد على تميز اليهود، وكان ذلك يتضمن أن التحرر قد ألحق بهم أذى لأنه طمس هويتهم كأمة»^(٤٢).

وأجابت الصهيونية عن تلك الحيرة حين قبلت يهودية اليهود التي لا تذوب في غيرها كشرط ضروري. وأهمية الصهيونية للعالم غير اليهودي، كما يقومها بلفور، تكمن في «محاولتها التقليل من الويلات الأبدية التي أصابت الحضارة الغربية نتيجة وجود جسم كان يعتبر غريباً بل معادياً، ولكنها في الوقت نفسه غير قادرة على إبعاده أو استيعابه»^(٤٣).

وبعد أن فشل مشروع أوغندا، رضى بلفور بفلسطين كحد متغير في المعادلة الصهيونية. ومع أن مشروع تشامبرلين لتوطين اليهود في شرق إفريقيا كان نابغاً عن نية طيبة إلا أن عيبه الكبير أنه لم يكن صهيونياً. أما فلسطين، فقد كانت في صهيونية بلفور العنصر الذي لا غنى عنه، ولم يكن يخفى تصوره حول مستقبل سكان فلسطين العرب، فقد جاء في مذكرته بالنسبة «للسوريا وفلسطين وما بين النهرين»:

ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها، إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة فإنها متأصلة الجذور في التقاليد قديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمئة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة^(٤٤).

أما بالنسبة للاستيطان اليهودي في فلسطين فقد أوصى في الجزء الأخير من هذه المذكرة:

إذا كانت للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية في العالم فينبغي أن تكون فلسطين متاحة لأكثر عدد من المهاجرين اليهود؛ ولذا فإن من

المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على القوة المائية التي تخصصها بشكل طبيعي سواء أكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالاً أم عن طريق عقد معاهدة مع سوريا الواقعة تحت الانتداب، والتي لا تعتبر المياه المتدفقة جنوباً ذات قيمة بالنسبة لها. وللسبب ذاته يجب أن تمتد فلسطين لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن^(٤٥).

صهيونية لويدي جورج

كان بلفور ولويدي جورج صهيونيين متحمسين ومتفقيين في تأييدهما للصهيونية، رغم أن أولهما من المحافظين، وثانيهما من الأحرار. كانت خلفياتهما متشابهة. ف (بلفور) الذي وصف والدته ذات مرة بأنها «امرأة ذات إيمان ديني راسخ» نشأ وترعرع في أحضان التقاليد البروتستانتية الأسكتلندية بكل ما تحمله من حب للعهد القديم، وإيمان شديد بعودة اليهود كبشرى بمجىء المسيح المنتظر. وتعكس فلسفته الشخصية الخاصة، كما لخصها في «الديانة والإنسانية»، وكان يرى أن التاريخ «أداة لتنفيذ هدف سماوي».

أما لويدي جورج، فقد كفله خاله ريتشارد لويدي، وهو واعظ متطوع ينتمي لإحدى فرق المعمدانين الويلزية وهي: «حواريو المسيح» بسبب وفاة والده وهو صغير. ولذلك فقد كانت له خلفية صارمة من العهد القديم. وقد اعترف لويدي جورج بأنه تدرس بالتاريخ العبري أكثر من تاريخ إنجلترا:

نشأت في مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادي، وبمقدوري أن أذكر أسماء جميع ملوك إسرائيل ولكني أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك من ملوك إنجلترا أو مثل ذلك العدد من ملوك ويلز، لقد أشرينا تاريخ جنسكم في أعظم أيام مجده عندما أقام أده العظيم الذي ستردد صدها حتى آخر أيام هذا العالم القديم، والذي سيؤثر في الأخلاق الإنسانية ويشكلها، وسيدعم ويلهم الحافظ الإنساني لا لليهود فحسب، بل للمسيحيين كذلك. لقد استوعبناه وجعلناه جزءاً من أفضل ما في الأخلاق المسيحية^(٤٦).

وفى هذا الحديث نفسه، عزالويد جورج الفضل فى صهيونيته لشخصية حاييم وايزمان وموهبته ككيميائى «لقد اهدت على يديه . لقد حولنى للصهيونية»^(٤٧). وكرر اعترافه نفسه فى كتابه «حقيقة معاهدات السلام». و«ذكريات الحرب»^(٤٨) هذه الحقائق هى جزء من الأسطورة القائلة إن وعد بلفور كان مكافأة لوايزمان على خدماته التى قدمها للمجهود الحربى البريطانى (حيث كان يعمل كيميائياً فى وزارة العتاد الحربية أيام لويد جورج). وعلى الرغم من مواهب وايزمان فقد كان لويد جورج ميالاً بالتأكيد للتسليم بحجج وايزمان بشأن وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وفى ١٥ أكتوبر عام ١٩٠٥م، وصفته صحيفة (جويش كرونكل) بأنه «ويلزى وطنى شجاع»، و«مؤمن متحمس للحركة الصهيونية»^(٤٩). وذكر وايزمان شخصياً أن «تأييده للوطن القومى اليهودى كان سابقاً لتوليئه رئاسة الوزارة»^(٥٠). لقد بدأت معرفة وايزمان بلويد جورج فى يناير عام ١٩١٥م، ولكنه كان على اتصال وثيق بـ (هرتزل) والحركة الصهيونية عام ١٩٠٣م.

كان لويد جورج، وروبرتس وشركاه - شركة لويد جورج القانونية - هم الذين وضعوا مسودة مشروع تشامبرلين الخاص بشرق إفريقيا بناء على توصية من المنظمة الصهيونية، وأخبر لويد جورج هيربرت صمويل فيما بعد، وهو أحد أعضاء وزارة إسكويث وأحد اليهود المتعاطفين مع الصهيونية، أنه كان «توافقاً لرؤية دولة يهودية فى فلسطين»^(٥١)، وفى ١٥ يناير عندما نشر صمويل مذكراته «حول مستقبل فلسطين» كان لويد جورج وزير العتاد فى وزارة إسكويث، وإدوارد جراى، وزير الخارجية، هما الوحيدين اللذين أيدا اقتراح صمويل الداعى للربط بين ضم فلسطين لبريطانيا والتأييد البريطانى للمطامع الصهيونية فى فلسطين»^(٥٢).

وعندما تولى لويد جورج رئاسة الوزارة فى ديسمبر عام ١٩١٦م، بدأت الحكومة البريطانية تدرس جدياً موضوع إصدار بيان عام عن السياسة البريطانية فى فلسطين، واستهلّت مفاوضات رسمية مع الصهيونية حول هذا الموضوع. وكانت فلسطين آنذاك قد أصبحت محور مناورات الحرب العالمية الأولى للسياسة المعقدة. ومع وجود

لويد جورج في رئاسة الوزارة وأرثر جيمس بلفور وزيراً للخارجية تغلغلت الصهيونية غير اليهودية في أعماق دوائر القرار البريطاني التي كانت محاطة بحشد من الشخصيات المختصة الأقل شأنًا، والتي كانت مخلصه في صهيونيتنا.

وعندما جرى النقاش حول كيفية تسيير دفة الحرب؛ اختار لويد جورج - انطلاقاً من مشاعره الصهيونية - تأييد «الشرقيين» الذين كانوا يدعون إلى جعل الشرق الأدنى هو المسرح الرئيسي للمجهودات الحربية البريطانية بعد توقف القتال في الجبهة الغربية. وكانت حملة فلسطين بالنسبة له هي الجزء المهم فعلاً من الحرب؛ لأن «أسماء ميادين الحرب نفسها كانت تثير مشاعره... وكان متأثراً بذكرياته عن الكتابات المقدسة التي ألفها منذ طفولته، والتي كانت تتنبأ بعودة الشعب اليهودي للأرض المقدسة»^(٥٣). وجاء في مذكراته الخاصة «لقد تأكدنا من المكاسب السياسية والمعنوية المتوقعة من تقدمنا على هذه الجبهة وبخاصة من احتلالنا للقدس»^(٥٤).

لكن مخاوفه لم تكن تتركز على التحالف التركي - الألماني فقط، فقد كان أكبر همه أن يحول دون مزيد من النفوذ الفرنسي في تلك المنطقة في المستقبل، وقد أخبر اللورد برتي، سفير بريطانيا لدى فرنسا، ذات مرة أن فرنسا «سترغم على قبول حمايتنا، وسنكون هناك فاتحين وسنبقى هناك»^(٥٥).

الاستعمار البريطاني صانع عيدان الثقاب

التقت المصالح البريطانية والصهيونية في النهاية، فقد قام الصهيونيون اليهود مثل (حايم وايزمان، وناحوم سوكولوف) بدورهما في جعل مصالح الصهيونية متماثلة مع مصالح بريطانيا والاستعمار الغربي، ففي عام ١٩١٧م، كان احتلال فلسطين ضرورة إستراتيجية لبريطانيا، لكن المطالبة بذلك على أساس الفتح العسكري وحده لم تكن تتفق مع مبدأ ودرو ولسن الذي ينص على عدم السماح بالاستيلاء على الأرض بالحرب، فضلاً عن أن ذلك كان يثير الرأي العام العالمي ضدها. لذلك كان الضم الصريح غير وارد، وكان السبيل الوحيد المتاح لبريطانيا هو ربط أهدافها الحربية بمبدأ تقرير المصير. وهكذا وجد الصهيونيون البريطانيون غير اليهود أن من المناسب

جداً وضع فلسطين تحت الوصاية من أجل أصحابها الذين ورد ذكرهم فى العهد القديم «شعب الله القديم». ولم يسبب ذلك راحة للضمير البريطانى فحسب، ولكنه ترك الباب مفتوحاً كذلك لمصالح بريطانيا المستقبلية فى المنطقة. وقد كتب مارك سايكس ذات مرة للورد روبرت سيسل:

علينا، دون أن نظهر أية رغبة فى ضم فلسطين أو جعلها محمية، أن نرتب سياستنا بحيث نصبح أكثر المرشحين لهذه المهمة حين يحين الوقت لاختيار سلطة تتدب لإدارتها بإجماع الرأى ورغبة سكانها. (٥٦)

وفى إطار الصهيونية غير اليهودية، هيا وعد بلفور موقفاً «أخلاقياً» ومبرراً «معقولاً» ولم يكن الانتداب البريطانى على فلسطين، فيما بعد، أكثر من الاعتراف الحتمى بحقيقة واقعة. وكان وعد بلفور داخلاً فى الانتداب البريطانى على فلسطين الذى عهد به المجلس الأعلى للقوات المتحالفة فى سان ريمو عام ١٩٢٠م، كما منحها عصبة الأمم ذلك الحق عام ١٩٢٢م من أجل الهدف المحدد وهو «إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين».

لماذا وعد بلفور؟

تختلف وجهات نظر المؤرخين حول السبب الذى حدا بالحكومة البريطانية أخيراً، برئاسة لويد جورج، لإصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وتتفاوت الأسباب بين دوافع حب اليهود والاهتمام بمصلحة الدولة وإستراتيجية الحرب. وتختلف التفسيرات الرسمية كثيراً، كما تختلف تفسيرات المراقب العادى (٥٧). قد تكون جميع هذه العناصر موجودة ولكنها كانت بحاجة إلى عامل يقلب الميزان لصالح الوعد، ولكن ينبغى البحث عن السبب الأساسى للميول الصهيونية لدى الأفراد الكثيرين الذين كان لهم ضلع فى صنع القرار وصياغته.

لم يكن لويد جورج وأرثر بلفور هما الوحيدين المؤيدين لأهداف الصهيونية فى فلسطين قلباً وقالباً. ولكنهما كانا على رأس جيل كامل من الصهيينيين غير اليهود الذين كانت لكل منهم شخصيته المتميزة فى الحياة العامة وفى الحكومة، فمارك

سايكس، وليوپولد أميرى، واللورد ملنر، والميجور أورمسبى جور (اللورد هارلش فيما بعد) وهربرت سايد بوثام، وروبرت سيسل، وج. س. سمتس، وريتشارد ماينرتز هاجن، وچوسيا، ودجود. وس. ب. سكوت وغيرهم كثيرون كانوا من ذوى النفوذ المناصرين للسياسات الصهيونية.

والواقع أن الوحيدين اللذين كانا معادين للسامية من ذوى النفوذ هما إدوارد مونتاجو واللورد كيرزون، وقد عبر اللورد كيرزون عن مخاوفه الكبيرة من الصهيونية بحكم كونه أكثر أعضاء مجلس الحرب اطلاعاً على شئون الشرق الأوسط. ففي ٢٦ أكتوبر عام ١٩١٧م، وزع مذكرة حذر فيها من وعد بلفور المقترح على أساس أنه يتضمن التزامات بعيدة المدى لا تستطيع بريطانيا العظمى أن تفي بها، كما تنبأ بالمتاعب التى ستنشأ فى المستقبل فى فلسطين؛ إذ إن سكانها العرب لن يكونوا «راضين بأن يجردوا من أملاكهم من أجل المهاجرين اليهود، ولا بأن يعملوا قطاع أخشاب وعمالاً لسحب المياه لهم»^(٥٨). لكن تحذيراته لم تجد أذاناً صاغية.

وعلى الرغم من الخلافات بين خصوم كيرزون، إلا أنهم كانوا متفقين معاً فى صهيونية توافقة للمطامع الاستعمارية، وأصبح توافق المصالح الاستعمارية البريطانية والصهيونية أمراً مقبولاً من الصهيونيين اليهود. وتأكيداً على ذلك، ففي ٢ أبريل عام ١٩٠٥م كتب صمويل جولدريج، وهو صهيونى مسئول فى أمريكا الجنوبية، فى رسالة إلى هرتزل «حاولت جهدى أن أقنع اللورد ملنر بأن ما يطلق عليه الاستعمار مطابق للصهيونية، وأن أسمى وأنبئ مثاليات بريطانيا والعلم تستدعى إعادة إسرائيل إلى صهيون»^(٥٩). وكان اللورد ملنر واحداً من كثيرين أصبحوا صهيونيين بفضل ميولهم الاستعمارية.

جيل الصهيونيين الاستعماريين الجديد

هربرت سايد بوثام: عزز سايد بوثام الفكرة الجديدة عن الصهيونية فى مقالاته المتعددة التى نشرها فى (مانشستر جارديان) وهى صحيفة كان يرأس تحريرها تشارلز بروستوتش سكوت، وهو صهيونى غير يهودى وصديق لكل من لويد جورج وحايم وايزمان.

كان سايد بوثام، كغالبية معاصريه من الصهيونيين غير اليهود، صهيونياً من ذاته،

وقد التقى (وايزمان) عام ١٩١٦م بعد أن أثار مقالاته في (المانشستر جارديان) انتباه وايزمان، وخاصة تلك التي نشرها في ٢٢ نوفمبر عام ١٩١٥م، وادعى فيها أن فلسطين مهمة جداً للدفاع عن مصر وقناة السويس. وكانت هذه المقالات المبكرة تؤكد الأهمية الإستراتيجية والسياسية للاستيطان اليهودي في فلسطين بالنسبة للإمبراطورية البريطانية.

وكانت مقالاته العسكرية الشهيرة التي نالت شهرة واسعة في الأوساط الحكومية حافلة بالصور الصهيونية. وفي واحدة من مقالاته الأولى، أثار موضوع «الارتباط القديم بين مصر وفلسطين وبلاد ما بين النهرين» مطبقاً ذلك على الوضع المعاصر:

كانت بلاد ما بين النهرين مهد الشعب اليهودي ومكان منفاه في الأسر. وجاء من مصر موسى مؤسس الدولة اليهودية. وإذا ما انتهت هذه الحرب بالقضاء على الإمبراطورية التركية في بلاد ما بين النهرين، وأدت الحاجة إلى تأمين جبهة دفاعية في مصر إلى تأسيس دولة يهودية في فلسطين، فسيكون القدر قد دار دورة كاملة^(٦٠).

وإن وصفه لفلسطين أمر متميز ولا يحتاج إلى تعليق:

كما أنه ليست هناك أية حضارة طبيعية في فلسطين يمكن أن تحمل محل التركية إلا حضارة اليهود الذين يبلغ عددهم ١/٧ عدد السكان، ومع ذلك فإنهم قد أعطوا فلسطين كل ما له قيمة بالنسبة للعالم^(٦١).

وتحدث عن فلسطين مستعملاً اسمى يهوذا والسامرة اللذين وردا في التوراة:

ليس بفلسطين في الواقع وجود قومي أو جغرافي مستقل إلا ما كان لها من تاريخ اليهود القديم الذي اختفى مع استقلالهم؛ ولذلك فعندما أطلق عليها بلفور اسم وطن قومي لم يكن يعطى شيئاً يخص شخصاً آخر. إنها روح الماضي التي لم يستطع ألفا عام أن يدفنها، والتي يمكن أن يكون لها وجود فعلى من خلال اليهود فقط. لقد كانت فلسطين هي الأرض المقدسة للمسيحيين، أما بالنسبة لغيرهم فإنها تعتبر تابعة لمصر أو سوريا أو الجزيرة العربية، ولكنها تعد وطناً قائماً بذاته بالنسبة لليهود فقط^(٦٢).

واليهود «أقدم الأجناس الحية» هم الذين ينشرون تأثيرهم الحضارى فى الشرق، أما عرب فلسطين البدائيون فقد وُصفوا بأنهم «جنس أكثر ضعفاً وتنوعاً من عرب اليمن أو الحجاز»^(٦٣). ولم يكن موقف سايد بوثام المتعالى تجاه العرب بشكل عام، والفلسطينيين بشكل خاص، يدعو للدهشة، كما أنه لم يكن فريداً بين الصهيونيين غير اليهود، وقد أنهى تمجيده للصهيونية بقوله:

إن الحجة من أجل الصهيونية قوية جداً بالنسبة لأمتنا حتى إن الواجب ليدعوننا أن نوجدها لو لم تكن موجودة بيننا^(٦٤).

السير مارك سايكس

كان سايكس الإنجليزي صاحب النفوذ الذى تحول للصهيونية من خلال الاستعمار أحد مساعدى لويد جورج فى وزارة الحرب، وكانت مهمته هى تزويد مجلس الوزراء بالمعلومات والمشورة حول شئون الشرق الأوسط. ومع أنه لم يكن من صانعى القرار فإنه كان مؤثراً جداً عليه بسبب شهرته كخبير فى شئون الشرق الأوسط وبسبب حظوته لدى أصحاب السلطة، ويرى كاتب سيرة حياته أنه كان القوة المحركة للسياسة البريطانية الخاصة بفلسطين، والتي أدت إلى وعد بلفور ثم الانتداب^(٦٥).

وصهيونية سايكس، والذى نشأ كاثوليكيًا، تعد عكس القاعدة العامة التى تربط الصهيونية غير اليهودية بالوسط الكتابى البروتستانتى.

والواقع أن سايكس لم يكن يتمسك بالمواقف المألوفة التى تعتبر اليهود «شعب الله القديم» الذى يجب أن يعاد إلى وطنه القديم. وقبل أن يتحول للصهيونية كان أحد المتفاوضين فى اتفاقية سايكس بيكو الشهيرة، وهى المعاهدة السرية التى وضعت عام ١٩١٦م وقسمت الإمبراطورية العثمانية فيما بين روسيا وبريطانيا وفرنسا، ووضعت فلسطين تحت إدارة دولية. ومع أنه لم يكن على جهل بالصهيونيين والمسألة اليهودية فى ذلك الوقت، إلا أنه كان يرى أن لا علاقة لذلك بالمفاوضات الفرنسية الإنجليزية الخاصة بالوصول إلى تسوية للإمبراطورية العثمانية بعد الحرب. ومع ذلك كانت اتفاقية سايكس بيكو فى أحد جوانبها هى ما يريده الصهيونيون: لقد أعطت المعاهدة فلسطين هوية جغرافية لأول مرة فى التاريخ الحديث:

كانت اتفاقية سايكس بيكو صهيونية في أصلها من بعض النواحي؛ إذ إن الشرط الخاص بفلسطين كان إلى حد كبير ثمرة مذكرة صمويل، وتحويل الدكتور جاستر لسايكس، وتأثير سايكس على بيكو، كما أنها حمت مستقبل فلسطين (بطريقة لا أخلاقية) من نتائج الوعود البريطانية لشريف مكة بمنح العالم العربي الاستقلال. وكانت الاتفاقية متعارضة مع الرغبات الصهيونية من زاوية واحدة وهي إصرارها على المنطقة الدولية^(٦٦).

ودكتور جاستر المشار إليه سابقاً هو الدكتور موسى جاستر معلم سايكس الصهيونية، وهو الحاخام الأكبر للسفارديين في لندن. وقد التقى مع سايكس في إحدى الجمعيات الشرقية خلال عام ١٩١٥م، وفتح عينيه، كما يقول سايكس، على معنى الصهيونية في نهاية ذلك العام عقب تعيين سايكس واحداً من وكلاء الوزارة في مجلس الحرب^(٦٧).

وكان لـ (هربرت) صمويل يد في دعم معلوماته عن الصهيونية، إذ أرسل له في فبراير عام ١٩١٦م نسخة من مذكراته التي تدعو إلى «حماية بريطانية» على فلسطين يتم عن طريقها تقديم «تسهيلات للمنظمات اليهودية لشراء الأراضي وإقامة المستوطنات وإنشاء مؤسسات تعليمية ودينية». وتأثر سايكس بهذه المذكرة وبدأ يهتم منذ تلك اللحظة بالصهيونية بشكل جدي، وتبنى الهدف الرئيسي للصهيونية وهو «تحقيق فكرة مركز للقومية بدلاً من حدود الأرض»^(٦٨). وكان للصهيونية سحر خاص على سايكس كمؤمن متحمس للقومية ومزاياها. ومما زاد من حماسه لها تفسير صمويل بأنها داخل إطار الاستعمار البريطاني الأكبر.

وكان سايكس، قبل لقائه الشخصي بجاستر و صمويل الصهيونيين اليهوديين، معروفاً بمواقفه المعادية لليهودية التي كانت تصل أحياناً إلى حد معاداة السامية صراحة. وكان اليهود بالنسبة له يمثلون «الممول العالمي البدائي الذي كانت آثامه من بين أفكاره المحببة»^(٦٩)، وكان يصرح باحتقاره «لليهود المتأنجلزين» الذين كانوا يمزجون بين الدين اليهودي والقومية الإنجليزية. والواقع أن سايكس، كما اعترف سو كولوفا «لم يكن يضمرباً لليهودي المولد»^(٧٠). ولكنه اكتشف بشكل مفاجئ من خلال المنظور الصهيوني «العبراني الحقيقي» مقابل «اليهودي المتأنجلز».

الصهيونية غير اليهودية ووعده بلفور

يقال إن وعده بلفور لزعماء الصهيونية اليهودية آنذاك حاييم وايزمان، وناحوم سوكلوف، وغيرهما «كالماء الذي يبحث عن منبعه»^(٧١)؛ أي أن «صهيونيين غير اليهود كانوا وراء إصدار الوعد. وقد صرح وايزمان ذات مرة «لقد حصلنا نحن اليهود على وعده بلفور بشكل غير متوقع... لم نكن نحلم أبداً بوعده بلفور، ولقد جاءنا بصراحة بشكل مفاجيء»^(٧٢)، لكن هذا الأمر لم يحدث «بين عشية وضحاها» كما أوضحنا فقد كان كل ما فعله وعده بلفور أن جمع المبادئ الأساسية للصهيونية في وثيقة حكومية رسمية لأول مرة.

لقد ناقشنا الخلفية الدبلوماسية لهذا الوعد الخطير في مكان آخر بشكل مفصل، وركزنا تحليلنا على الدوافع لبعض صانعي القرار السياسيين. وتحليل نص هذا الوعد المكون من ٦٧ كلمة يبصرنا بالمعتقدات الأساسية للصهيونية. لقد اعترف هذا الوعد أولاً، وفي المقام الأول، بوجود «الشعب اليهودي» كأمة، ثم أصبح هذا الشعب «كياناً قومياً» يعترف به القانون الدولي بعد أن تم دمج الوعد في الانتداب ووافقت عليه عصبة الأمم. وكانت آراء غالبية اليهود آنذاك القائلة بأن اليهودية مجرد ديانة «زيفاً واضحاً»^(٧٤)، فالصهيونية غير اليهودية كما تبدو في وعده بلفور أنكرت وجود الشعب الفلسطيني العربي في الوقت الذي اعترفت فيه باليهود كأمة. وقد أشار الوعد إلى ٩٠٪ من سكان فلسطين في ذلك الوقت بأنهم «الجاليات غير اليهودية الموجودة في فلسطين» وهذه التسمية المنافية للعقل والقانون، والتي تتجنب مجرد ذكر كلمة «عرب» كانت تهدف إلى إخفاء حقيقة أن فلسطين بلد عربي، وكانت كل مبادئ الصهيونية غير اليهودية، كما انبثقت من الثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر، تصور فلسطين على أنها أرض غير عربية - أي الوطن اليهودي. أما السكان العرب فهم بين أمرين: إما أنه لم يرد لهم ذكر وإما أنهم اعتبروا بقايا الأجناس الأخرى التي تاهت في الأرض المقدسة. ويمكن القول: إن الوعد يضمن «الحقوق المدنية والدينية» لغير اليهود. وإن كان تعبير «الحقوق المدنية» يعني شيئاً فإنه يشير إلى حقوق الغرباء في أرض عربية.

أصبحت الأسطورة القائلة إن فلسطين وطن الأجداد لكل اليهود مقبولة على أعلى

مستويات صانعي القرار السياسى ، ولم تعد فلسطين تعتبر جزءاً من الوطن العربى ، كما عبر عن ذلك اللورد ملنر صراحة :

إذا ذهب العرب بعيداً فى ادعائهم أن فلسطين واحدة من بلدانهم تماماً كما هى بلاد ما بين النهرين أو الجزيرة العربية ، فإننى أعتقد أنهم يتحدون الحقائق والتاريخ والمبادئ والروابط ذات الطبيعة الأهم ؛ وهى الطبيعة المقدسة . ليس من الممكن أبداً اعتبار فلسطين بلداً على قدم المساواة مع البلدان العربية الأخرى . . إن مستقبل فلسطين لا يمكن أن تقرره الانفعالات المؤقتة ومشاعر غالية عرب الوقت الحاضر^(٧٥) .

وعزف روبرت سيسل على النغمة نفسها حين اعتبر وعد بلفور «إعادة ولادة أمة يهودية ، وطالب بأن تكون «الجزيرة العربية للعرب وأرمينيا للأرمن ويهودا لليهود وتركيا الحقيقية للأتراك»^(٧٦) .

واللغة التى صيغ بها وعد بلفور غامضة ، وبخاصة بالنسبة للأرض التى يضمها الوطن اليهودى فى فلسطين . لكن الصهيونيين غير اليهود كانوا للمرة الثانية أول من شغلوا أنفسهم بحدود فلسطين اليهودية ، وهى بالطبع «فلسطين التوراتية» التى تشمل أجزاء من لبنان وسوريا والأردن . وكان هشرل ولويد چورچ وسمتس على دراية واسعة بالجغرافيا التوراتية ، ولم يكن يساورهم شك فيما ستسفر عنه سياسة الوطن القومى البريطانىة .

وقد أثارَ عن بلفور قوله إنهم كانوا يعنون دولة يهودية دائمة^(٧٧) . وأكد لويد چورچ هذا التفسير فى الشهادة التى أدلى بها أمام لجنة بيل^(٧٨) . ومنذ عام ١٩١٧م ، قرر هؤلاء فى أذهانهم وضع فلسطين المستقبلى كدولة يهودية ، وإن لم يكن ذلك مسطراً على الورق .

على ذلك ، فإن الصهيونية غير اليهودية وصلت إلى ذروتها خلال العقدين الأولين من هذا القرن ، وقد جاء وعد بلفور ، الذى واكب المرحلة الحاسمة للتعاون الصهيونى البريطانى ، ليحدد علاقات السياسة الغربية بفلسطين .

هوامش الفصل الرابع

- (١) كتب C.R. Conder في صحيفة The Jewish Chronicle عام ١٩٧٨ م ما اقتبسه فرانز كوبلر في كتابه The Vision was There (London, 1956 p. 87).
- (٢) J.W. Dawson, Modern Science in the Bible اقتبسه كوبلر في المصدر السابق ص ١٠٥-١٠٦.
- (٣) انظر مثلاً Leonard Stein, Zionism (London, 1925) pp. 47 - 72 Bentwich and Shaftesley, Forerunners of Zionism Victorian Era, pp. 13 - 209.
- كان يقطن فلسطين ٣٤ ألف يهودى عام ١٨٧٨ م حسب رأى شتاين، وكانت الغالبية العظمى منهم من يهود «الهالوكا»؛ أى الذى يعيشون على التبرعات الخارجية. وكانت قلة منهم تعمل فى الزراعة لكسب عيشها وإصلاح الأرض. ولولا تدفق رأس المال الأجنبى - بناء على طلب الصهيونيين غير اليهود - لانتهت المحاولات القليلة لإقامة مستوطنات زراعية بالفشل الذريع، وقد فشل العديد منها فعلاً.
- (٤) Bentwich & Shaftesley، المصدر السابق، ص ٢١٣.
- (٥) كما ورد فى المصدر السابق، ص ٢١٥.
- (٦) بربارة تخمان «التوراة والسيف»، لندن، ١٩٥٦ م، ص ١٧٣.
- (٧) المصدر السابق.
- (٨) تلخص حجج بنسكر العلمانى فى الخلاص اليهودى وإقامة دولة أرضية بما يلى:
- ١ - ليس اليهود شعباً مفعماً بالحياة وهم غرباء فى كل مكان ولذلك فهم محقرون. ٢ - الخلاص المدنى والسياسى لليهود لا يكفى لتغيير هذا التقييم، والعلاج الوحيد المناسب هو إيجاد قومية يهودية لشعب يعيش على أرضه، والخلاص الذاتى لليهود. ٣ - يجب أن يكون هناك حل قومى للقضية اليهودية الدولية. ٤ - يجب أن تفتح طريق للانبعث القومى اليهودى عن طريق هيئة تشريعية من وجهاء اليهود. ٥ - سيواجه المشروع فى وضعه الراهن صعوبات جمة. انظر Leo Pinsker, Auto Emancipation, edition by A.S. Eban (London, 1932).
- (٩) كان بنيامين دزرائيلى (اللورد بيكو نسفيلد فيما بعد) اليهودى الأصل معروفاً قبل توليه رئاسة الوزارة عام ١٨٧٥ م فقد كتب روايته الصهيونيتين The Tancred (1847) Wondrous Tale of Alroy (1833) ويعتقد بعض المؤرخين أنه هو واضع مذكرة لا تحمل توقيعاً قدمت لمؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م وفيها برنامج صهيونى لحل القضية اليهودية. لكن إسهام دزرائيلى الرئيس للصهيونية يكمن فى جهوده لتوسيع وترسيخ المصالح البريطانية فى الشرق الأدنى، فهو الذى فاوض من أجل شراء حصة مصر فى شركة قناة السويس عام ١٨٧٥ م، كما أن بريطانيا احتلت «قبرص» أولاً ثم «مصر» عام ١٨٨٢ م فى عهده.

- (١٠) تخمان، المصدر السابق، ص ١٧٤ .
- George Antonius, The Arab Awakening (London, 1938). pp 2 - 261; see also (١١)
- Leonard Stein, The Balfour Declaration (London, 1961), p. 52.
- (١٢) يوميات تيودور هرتزل (نيويورك، ١٩٥٦م).
- Bessi and Haemann, Herzi, Hechler, and the Grand Duke of Baden and the (١٣)
- German Emperor, 1896 - 1904 (Tel Aviv, 1961). p. 52.
- (١٤) للاطلاع على برنامج بازل انظر Stein Zionism المصدر السابق، ص ٨٨ .
- Julian Amery, The Life of Joseph Chamberlain (london) 1951) Vol.4. (١٥)
- (١٦) تخمان، المصدر السابق، ص ١٨٩ .
- (١٧) سيتضح في هذا الفصل أنه عرض غير عملي .
- (١٨) Amery، المصدر السابق، ص ٢٦٠ .
- (١٩) Christopher Sykes, Two Studies in Virtue (London, 1953). p. 162.
- (٢٠) Protokoll des 7. Zionisten Kongress, Wien, Verlag Eres Israel 1905.
- (٢١) انظر Jewish Chronicle، ٢٣ ديسمبر ١٩٠٤م وخاص ص ١٣ فهي تتضمن خطابه في لايمهاوس في ديسمبر ١٩٠٤م ويهاجم فيه الهجرة الأجنبية إلى إنجلترا بشدة .
- (٢٢) يوميات هرتزل، المصدر السابق، ص ٣٧٣ .
- (٢٣) Paul Goodman, Zionism in England (London, 1949). pp. 18- 19.
- (٢٤) بروتوكولات المؤتمر الصهيوني الرابع (لندن، ١٩٠٠م)، ص ٥ .
- (٢٥) نشر التقرير النهائي للجنة في ١٤ أغسطس ١٩٠٣، انظر رقم ١٧٤١. Minutes of Evidence . رقم ١٧٤٢ «تقرير اللجنة الملكية حول الهجرة الأجنبية ١٩٠٢ - ١٩٠٣م» .
- (٢٦) كما في Oskar K. Rabinowicz, Winston Churchill on Jewish Problems (New York, 1960).
- (٢٧) ورد في ٢٣٦ من كتاب Amery السابق ما يلي :
- يرى أن تشامبرلين قال لوزير المالية الإيطالي اليهودي، بارون سونيتو، خلال حفل الغداء :
«لقد أطلقوا على لقب رسول الجنس الأنجلوساكسوني وأنا فخور بهذا اللقب . إنني أعتقد أن
الجنس الأنجلوساكسوني رائع كأي جنس آخر على هذه الأرض . . إن الجنس الوحيد الذي
أحقره هو الجنس اليهودي . . إنهم جبناء يا سيدى» .
- (٢٨) انظر يوميات هرتزل، المصدر السابق، ص ٣٧٦ .
- (٢٩) Amery، المصدر السابق، مجلد ٤ .
- (٣٠) يوميات هرتزل، المصدر السابق، ص ٣٨٤ .
- (٣١) الزعيم الصهيوني Max Nordau هو الذي أطلق على أوغندا اسم «ملجأ ليلي»، أي ملجأ
مؤقت لليهود الفارين من المذابح الجماعية في أوروبا الشرقية .
- (٣٢) Stein, Balfour، المصدر السابق، ص ١٤٩ . قدمت حكومة بلفور مشروع القانون مرتين :

فقد قدم أولاً لمجلس العموم في ٢٩ مارس عام ١٩٠٤م، ولكنه سحب نهائيًا في ٧ يوليو ١٩٠٤م بسبب معارضة حزب الأحرار الشديدة. أعيد تقديم صيغة معدلة للصورة الأصلية في ٤ أبريل ١٩٠٥م، فأقرت في ١١ أغسطس عام ١٩٠٥م وأصبحت نافذة من ١ يناير ١٩٠٦م. Hansard H. C. 10 July 1905. Vol. 149, col. 154/155. See also Jewish Chronicle.(٣٣) 14 July 1905 p. 7 for a Jewish Critique of Balfour's Speech.

(٣٤) Hansard، المصدر السابق، المجموعة ١٥٥.

Protokoll des 7.Zionisten Kongress, op. cit. p. 85. (٣٥)

(٣٦) Stein. Balfour للاطلاع على وصف لاجتماع وايزمان مع بلفور في ١٢ ديسمبر ١٩١٤م انظر Stein. Balfour السابق الذكر ص ١٥٤، وكانت كوزيما واجنر هي أرملة ريتشارد واجنر ونموذجًا للاسامية قبل عهد النازية.

Hansard. H. C. 2 May 1905, col. 795. See also Blanche E. C. Dugdale Arthur (٣٧) James Balfour (London, 1936), Vol 2.pp. 17 - 216.

Chaim Weizmann, as quoted in Richard Crossman, A Nation Reborn (London,(٣٨) 1960), p. 27.

(٣٩) تتضمن صفحة ١٦٤ من كتاب Stein, Balfour (1961) مذكرة ولف عن حديثه مع بلفور.

(٤٠) Dugale، المصدر السابق، مجلد ٢، ص ٢١٦.

(٤١) مقابلة بلفور مع هارولد نيكولسون عام ١٩١٧م، انظر جيروداليم پوست، ٢ نوفمبر ١٩٥٢م.

(٤٢) Stein, Balfour، المصدر السابق، ص ١٦٣.

Nahum Sokolow. History of Zionism (London, 1919). I. pp xxixff. (٤٣)

(٤٤) للاطلاع على النص الكامل للمذكرة انظر، E.L. Woodward and J. Buter (eds).

Documents on British Foreign Policy, 1919 - 39 (London, 1952) 1st Series, Vol.

4.pp.7 - 340.

(٤٥) المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(٤٦) لويد جورج للجمعية التاريخية اليهودية في إنجلترا في ٢٥ مايو ١٩٢٥م. أعيد طبعه في كتاب

Philip Guedalla, Nopoleon and Palestine (London, 1925), pp. 45 - 55.

٤٨ - ٤٩.

(٤٧) المصدر السابق، ص ٤٨.

Lloyd George, The Truth About the Peace Treaties (London 1938), Vol. 2. p.(٤٨)

117, see also his War Memoirs (London, 1933 - 36), Vol. 2. p. 584.

Jewish Chronicle, 15 December 1905. (٤٩)

Chaim Weizmann, Trial and Error (New York, 1965). p. 192. (٥٠)

Viscount Samuel. Memoirs (London, 1945) p. 139ff. (٥١)

(٥٢) المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٥٣) Stein, Balfour، المصدر السابق، ١٤٦ .

(٥٤) المصدر السابق : Lloyd George, War Memoirs, Vol. 2, p. 122.

(٥٥) The Diary of Lord Bertie of Thame (London, 1924), Vol. 2, p. 122 دونت المادة في ٢٠ أبريل ١٩١٧ م.

(٥٦) Shane Leslie, Mark Sykes: His Life & Letters (London, 1923).

(٥٧) عبر بلفور أكثر من مرة عن اهتمامه «بإعطاء اليهود مكانهم الشرعى فى العالم» انظر «المناقشات البرلمانية، مجلس العموم، مجلد ٥٠، رقم ٤٧، المجموعتان ١٠١٨-١٠١٩، ٢١ يونيو ١٩٢٢ م. وانظر كذلك ص ٢١٦-٢١٧ من المصدر السابق لـ Dugdale. وقد أشار لويد جورج فى سيرة حياته إلى أهمية الدعاية بين اليهود الأمريكيين والروس فى حين كان ونستون تشرشل يعتمد على «التأييد المعنوى والمالى» ليهود العالم. انظر «المناقشات البرلمانية» مجلس العموم، مجلد ١٥٦، المجموعة ٣٢٨٩ و ٤ يوليو ١٩٢٢ م. أما اللورد «كيرزون - Curzon» فقد كان يركز على العامل الإستراتيجى كسبب رئيسى. انظر «المناقشات البرلمانية»، مجلس اللوردات، مجلد ٤٠، المجموعة ١٠٢٨، ٢٩ يونيو ١٩٢٠ م.

(٥٨) للاطلاع على النص الكامل للمذكرة انظر

Lloyd Gegrge, Treaties, Vol. 2, pp. 1123ff.

(٥٩) جولدريش إلى هرتزل، ٢ أبريل ١٩٠٥ م. هناك نسخة من الرسالة فى الأرشيفات الصهيونية فى القدس.

(٦٠) Herbert Sidebotham, England and Palestine. Essays Towards the Restoration of the Jewish State (London, 1918).

(٦١) المصدر السابق.

(٦٢) Herbert Sidebotham, British Policy and the Palestine Mandate Our Proud Privilege, as quoted in Joseph M. Jeffries, Paletine The Reality (London, 1929),

(٦٣) Herbert Sidebotham, British Interests in Palestine (London, 1934), p. 8.

(٦٤) المصدر السابق، ص ١١.

(٦٥) Leslie, op, cit, pp. 9 - 288, also p. 85. See also Leopold S Amery My Political Life (London, 1953), Vol. 2, pp. 15 - 114.

(٦٦) المصدر السابق Sykes، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٦٧) Mark Sykes address to the London Opera House meeting reported in the Times, 3 December 1917.

(٦٨) كما ورد فى Stein, Balfour, 233 - 234

(٦٩) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٧٠) Sokolow، المصدر السابق، مجلد ٢، ص xxi.

انظر كذلك LESLIE، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

Joseph M. N. Jeffries, Palestine: The Reality (London, 1939) Longmans Green & Co, P. 172. (٧١)

As Quoted in Paul Goodman (ed.), Chaim Weizmann (London 1945), Chapter 14. (٧٢)

(٧٣) لمزيد من الدراسة المفصلة للخلفية السياسية للوعد انظر المصدر السابق Stein, Balfour.

(٧٤) وزارة الخارجية ٣٧١ / ٣٨٨ / ١٤٩٥ ، ٢٧ أكتوبر ١٩١٨ م.

(٧٥) اللورد «ملنر - Milner» في مجلس اللوردات في ٢٧ يونيو عام ١٩٢٣ م كما ورد في ص ٦٩٥ - ٦٩٦ من المصدر السابق لـ Jeffries.

(٧٦) طبع الخطاب الذي ألقى في دار أوبرا لندن في ٢ ديسمبر ١٩١٨ م كاملاً في المصدر السابق لسوكولوف، مجلد ٢، ص ١٠١.

(٧٧) حديث بلفور مع وايزمان وتشرشل ومارك سايكس وماينرتزهاجن في ٢٢ يوليو ١٩٢١ م كما ورد في Richard Mcinertzhagen, Middle East Diary 1917 - 1956 (London, 1960) pp. 130 - 105.

(٧٨) Lloyd George, Treaties, Vol, 2, p. 1139 استنتجت لجنة بيل في تقريرها الذي نشر في يوليو ١٩٣٧ م أن «صراعاً لا يمكن السيطرة عليه» قد ثار حول مسألة من سيحكم فلسطين، وأوصى التقرير بتقسيم فلسطين، وصدر الكتاب الأبيض وهو كتاب عام ١٩٣٧ م لدعم التقرير باعتباره السياسة البريطانية الرسمية.

* * *